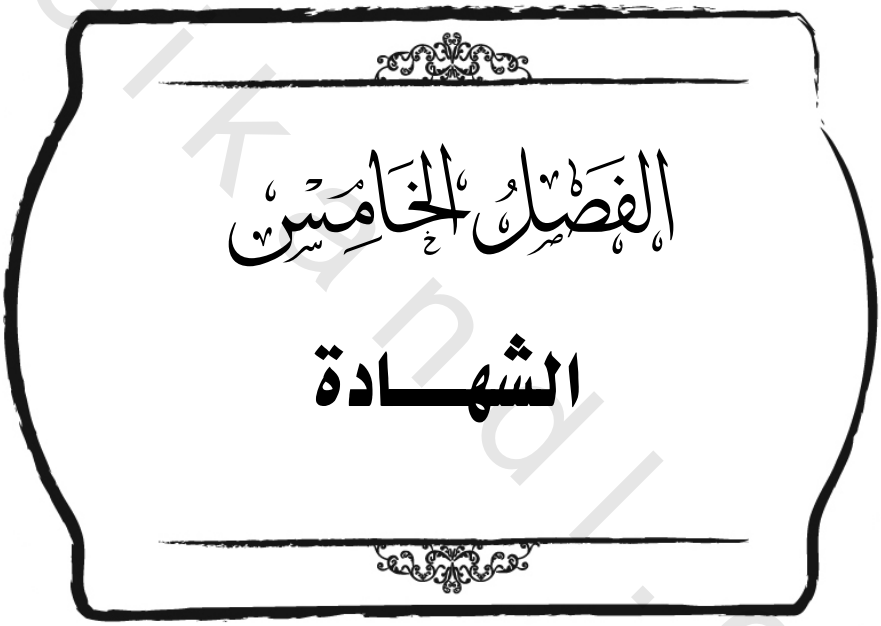

الفصل الخامس

الشهـــادة

obeikandl.com

obeikandl.com

تقدم حرب اللاعنف الشهداء وهي تُشق طريقها نحو الحرية وكرامة الإنسان، خاصة حين تواجه ديكتاتوريات قمعية تسفك الدماء، فترتوي الأرض بدماء زكية، ما خرجت بصدورها العارية إلا من أجل حرية الإنسان والأوطان.

والفرق بين الحرب العسكرية وحرب اللاعنف، أن الثانية لا يخرج فيها المقاوم بنية إزهاق روح من أمامه ليمر علىٰ جثته إلىٰ حلمه، فهو لديه استعداد أن يضحي ويُقتل من أجل قضيته، لكنه ليس مستعداً لأن يقتل أخاه حتىٰ وإن قمعه أو نكَّل به.

إن شهداء حرب اللاعنف يجمعون بين النبل والشجاعة، فهم لا يغدرون أو يقتلون، وهم كذلك يتصدون للطغيان بصدور عارية، لا يفكرون في كيفية الانتصار من الظالم فحسب، فعيونهم موجهة إلىٰ أبناء وطنهم، لا يريدون أن يحمل بعضهم السلاح في وجه بعض، لذلك فهم يقاومون علىٰ جبهتين، جبهة الظلم وجبهة العنف، كلاهما ينبغي التعامل معه في آن واحد.

وعندما يبذل فريق من الشعب روحه، فيستشهد العشرات أو المئات أو الآلاف، فإنهم يعلمون أنهم بذلك حقنوا الدماء أضعافاً مضاعفة، وجنبوا مستقبل بلادهم ويلات الحروب البينية التي تترك جراحاً نفسية لا تندمل بسهولة. اختاروا أن تسيل دماؤهم أنهاراً، ولا تسيل أنهار الكراهية والحقد وطلب الثأر في المجتمع. فأنهار الدماء ستسجلها ذاكرة الكرامة والصمود في المجتمع، أما أنهار العنف والكراهية فستسجلها ذاكرة الخوف والقلق والتربص في المجتمع.

والشهداء هم زينة رحلة التغيير، هم نجومها الهادية، لأنهم من أثبتوا أن الأفكار العادلة تتطلب أن تفتديها الأرواح، وأن الخصوم أبناء الوطن يمكن لمشاهد الدماء الزكية أن تنير عقول الكثير منهم. فليس كل صاحب موقف

مخالف متكبر، البعض ينقصه فقط أن يبصر زاوية أخرىٰ للمشهد. والشهداء كذلك يحيون بدمائهم روح التغيير والنضال في النفوس، فدماؤهم توقظ النائمين وتحرك آلاف المترددين.

أفكارعملية

والشهيد ليس كالمقاوم العادي، ينتهي دوره بنهاية مشاركته، فكم من شهيد أحيا أمة، فكيف يمكن استثمار معنىٰ الشهادة وقصصها؟! وكيف يمكن أن يكون الشهيد نهر لا ينضب في معركة التغيير؟! بحيث تكون تكلفة استهدافه من الخصم عالية جداً، حتىٰ أنه يقول.. ليتني ما فعلت!!

إن الشهيد لديه قدرة مذهلة علىٰ تكدير صفو الظالمين وإيقاظ المجتمع، شريطة أن يترك خلفه أناساً عباقرة، لديهم قدرة علىٰ استثمار قصته في أنشطة متعددة.. نذكر بعضها علىٰ سبيل المثال.

على مستوى الملاحقات القضائية والضغط على المجرمين

1 – رفع دعاوىٰ قضائية للمطالبة بالقصاص.

2 – لجنة مستقلة للتحقيق.

3 – أنشطة متنوعة أمام منازل وأماكن عمل المتسببين في القتل.

4 – نشر صور وبيانات القاتل (**إن وجدت**).

5 – حملات ضغط علىٰ المتسببين في القتل.

على مستوى العمل المجتمعي

6 – عمل جنازة مهيبة.

7 – عمل عزاء.

8 – تغيير اسم الشارع باسم الشهيد.

9 – مداخلات علىٰ القنوات الفضائية للتعريف بقصته.

obeikandl.com

10 – عمل فيلم وثائقي عن قصة الشهيد وعرض القصة الإنسانية.

11 – إصدار كتيب يحكي قصته.

12 – معارض صور توثق بطولته.

13 – عروض مسرحية تحكي القصة.

14 – عمل صفحة أو موقع علىٰ الإنترنت تنشر ثقافة العمل السلمي. (**لماذا واجه بدون سلاح؟**).

15 – عمل مركز تدريبي في منطقته باسمه لتدريس ثقافة اللاعنف.

16 – عمل أنشطة رمزية بالأماكن التي كان يتواجد فيها (**العمل – المدرسة – الجامعة – النادي**). ومخاطبة الزملاء ورواد هذه الأماكن.

17 – رفع صور الشهيد في الشوارع والمحلات في منطقته.

18 – عمل نصب تذكاري عليه أسماء الشهداء.

19 – عمل وقفات في الذكرىٰ السنوية لاستشهاده وإحيائها بأنشطة متنوعة، بحيث يكون في كل منطقة مناسبة سنوية لتجديد وإحياء روح المقاومة وفكرها، بشكل يشعرها بالخصوصية.

20 – استثمار المناسبات الاجتماعية والأعياد في التذكير بالشهيد.

21 – إطلاق المسيرات من أمام بيته بشكل دوري أو التحرك إلىٰ مقر بيته.

22 – عمل مجموعة عمل أو حركة، باسم الشهيد لها أنشطة مميزة.

23 – عمل أنشطة خيرية باسم الشهيد، لتعريف الناس به وبقصته.

على مستوى عائلة الشهيد

24 – عمل رابطة تجمع أسر الشهداء وتتفقد أحوالهم.

25 – التواصل الهاتفي في المناسبات مع أسر الشهداء.

obeikandl.com

على المستوى الشعبي الدولي

26- التعريف بالقضية علىٰ المستوىٰ الدولي عبر الصحافة.

27- وقفات أمام السفارات والبرلمانات.

وبذلك يمكن استثمار «**الشهادة**»[1] ليتحول كل شهيد إلىٰ مشروع فاعل، فروحه خرجت من جسده لتعود من جديد إلىٰ المجتمع، لتحيي مئات، أو ربما آلاف الأعمال. وهو استثمار بما تحويه الكلمة من معنىٰ، فقد أراد الشهيد أن يمد مشروع التغيير بدفعة حياة جديدة، والمقاومون سيضاعفون هذه الدفعة. إنه خيار المقاومين، إما أن يكون شهداؤهم مجرد أرقام، أو تصبح لكل روح معنىٰ يحيي المجتمع ويؤرق الظالمين.

شهداء القوات المضادة

ولأن حرب اللاعنف ليست حرب كراهية، ولأن المقاومين يؤمنون بحرمة الدماء، كل الدماء، مستلهمين قول الله عزل وجل، ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:28]؛ فإنهم يهتمون بشهداء القوات المقابلة علىٰ الناحية الأخرىٰ، رغم أنهم كانوا يهمون بقتلهم أو ربما فعلوا. لأن المقاوم اللاعنيف يحمل رسالة، ويعلم أن هذا المسار في حد ذاته يرسخ في المجتمع معان سامية. هو ليس سبيل وصول إلىٰ السلطة، بل سبيل تحرير للمجتمع، وتخليصه من أمراضه، وانتصار للقيم. والمقاوم يوقن أنه لم يقتل، وأن هذا ليس منهجه، ومن ثم فهناك جهة صوبت

---

1 يختلف مفهوم "استثمار الشهادة" عن "المتجارة بالدم" التي تحمل معنىٰ الانتهازية والتدليس، فالشهيد مقاوم نذر نفسه لملحمة التغيير، وأراد أن يكون لدمائه دور في بعث الروح في المجتمع. فالشهيد أراد استثمار حالة نضالية بالأساس، وشارك فيها ليدعمها ويغذيها. وقد يكون البديل عن الاستثمار هو "الهدر"، أن تضيع الدماء هدراً ولا تحقق فائدة تذكر. فتصبح رخيصة بلا مقابل. إن مفهوم "الاستثمار" يعني أن يتحقق مراد "الشهيد"، فيكون لدمائه أعظم الأثر، وهذا ليس دوره فحسب، بل دور كل المحيطين به القادرين علىٰ العمل لجعل هذه الدماء لها أكبر فائدة ممكنة.

النيران علىٰ المعسكر المقابل، سواء من داخله أو خارجه.

ولا يكفي أن يخلي المقاومون ذمتهم ويعلنوا براءتهم من الدماء بمؤتمرات صحفية وبيانات إدانة، بل أن يعاملوا الجندي أو الضابط كشهيد قُتل غدراً. ويمكن أن ينفذوا كل الأفكار السابقة لتأكيد أن حرمة الدم فوق كل شيء. وليرفعوا تكلفة القتل علىٰ من ارتكب هذا الفعل الدموي، فيأتي بعكس ما أراد.

كثيراً ما نسمع كلمة دماء الشهداء لعنة علىٰ الطغاة، وهو ليس تعبيراً مجازياً، إن كان خلف الشهداء رجال يجعلون تكلفة القمع باهظة.

إنها مناسَبة جديدة لخلق حوار، حوار مع قوىٰ القمع والمجتمع والنظام، وحوار مع الإنسانية كلها، هذا الحوار الذي تديره الأنشطة المتنوعة والأفكار المبتكرة، ليعلم الجميع أن الكرامة الإنسانية ليست شعارات، وأن المقاومين يطبقونها في ساحة المعركة، وأنهم لم يتخلقوا بأخلاق خصومهم.

مجموعات متخصصة

ويتطور هذا المجال بتخصص مجموعات عمل فيه، ربما تتأسس عليها مشاريع ومؤسسات، يتركز دورها في:

* التفكير في كيفية التعامل مع جوائز «**الشهادة**» التي تهب الحياة للمجتمعات.
* دراسة الحالات من منظور حماية الأرواح، فتسجل التقارير حول الأسباب التي أدت إلىٰ الاستشهاد؟! فأحياناً يكون وراء الحدث خطأ تكتيكياً أو استراتيجياً كان يمكن تجنبه. وبذلك يتم تدارك الأخطاء والحفاظ علىٰ الأرواح في المرات اللاحقة. فالاحتفال بفكرة «**الشهيد**» لا ينبغي أن يكون علىٰ حساب منع آخرين من أن يلقوا نفس المصير. والبحث في الأسباب والملابسات يتطلب عملاً جريئاً، لا يخشىٰ التنقيب عن أسباب الموت، من أجل العثور علىٰ أسباب الحياة.

الخلاصات

* الفرق بين الحرب العسكرية وحرب اللاعنف، أن الثانية لا يخرج فيها المقاوم بنية إزهاق روح من أمامه ليمر علىٰ جثته إلىٰ حلمه، فهو لديه استعداد أن يضحي ويُقتل من أجل قضيته، لكنه ليس مستعداً لأن يقتل أخاه حتىٰ وإن قمعه أو نكَّل به.
* تعمل حرب اللاعنف جبهتين: جبهة الظلم وجبهة العنف، كلاهما ينبغي التعامل معه في آن واحد.
* يتم استثمار «**الشهادة**»، مثلما يتم استثمار كل أشكال القمع الأخرىٰ من ضرب واعتقال..الخ.
* إن الشهيد لديه قدرة مذهلة علىٰ تكدير صفو الظالمين وإيقاظ المجتمع، شريطة أن يترك خلفه أناساً عباقرة لديهم قدرة علىٰ استثمار قصته في أنشطة متعددة.
* حرب اللاعنف ليست حرب كراهية، حيث يكرم شهداء المعسكر الآخر ممن قُتلوا غدراً.
* لا يكفي أن يخلي المقاومون ذمتهم ويعلنوا براءتهم من الدماء بمؤتمرات صحفية وبيانات إدانة، بل أن يعاملوا الجندي أو الضابط كشهيد قُتل غدراً. ويرفعوا تكلفة القتل علىٰ من ارتكب هذا الفعل الدموي، فيأتي بعكس ما أراد.
* إن الاحتفال بفكرة «**الشهيد**» لا ينبغي أن يكون علىٰ حساب منع آخرين من أن يلقوا نفس المصير، والبحث في الأسباب والملابسات يتطلب

openkandil.com

عملاً جريئـًا، لا يخشىٰ التنقيب عن أسباب الموت، من أجل العثور علىٰ أسباب الحياة.

* كثيراً ما نسمع كلمة دماء الشهداء لعنة علىٰ الطغاة، وهو ليس تعبيراً مجازيـًا، إن كان خلف الشهداء رجال يجعلون تكلفة القمع باهظة.

* * * *

obeikandl.com